

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[341] القرآن الكريم في إدامة حديثه عن قارون وثروته يقول في هذه الآية (وَأَتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَاءً يَنْسِلُ مِنْهَا نَافِثَاتٌ فَيَخْرُجُ عَلَيْهَا سُحْبَةٌ بِالْأَيْمَانِ أُولَئِكَ الْقُورُونَ) (1). لقد كان قارون فرحاً جداً من وضعه الاجتماعي وكان يعيش دائماً حالة اللهو واللذّة ولا يشعر بما يجري على البؤساء والفقراء ولا يعيش محنتهم وحرمانهم وحتّى عندما قال له العقلاء من قومه (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ السَّاعَةَ لَا يُخِيبُ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْأُولَىٰ) (2). هذه التعاليم الخمسة والنصائح المشفقة ليس لم تؤثر إطلاقاً في قلب قارون الأسود، بل زادت طغياناً وضلالاً إلى درجة أنه انكر بصراحة التوحيد الأفعالي في قوله تعالى وقال : "إنما أوتيته على علم". ويتحدّث القرآن الكريم في آيات أخرى من هذه السورة عن إحدى الرذائل الأخلاقية لقارون التي تتمثل تقريباً بدرجة من الجنون الذي يبتلي به جميع الأثرياء المغرورين والذين يتحركون في خطّ الانحراف وطلب المزيد من الثروة والمال بعيداً عن الله تعالى فتقول الآية : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي رِيذْنَتِهِمْ قَالُوا السَّادِينَ يَمُرُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالِئِذٍ لَئِنَّا مَحْكُلُونَ) (3). وأخذ يتبرج بهذه الثروة الطائلة من موقع الغرور والتفاخر حيث استعرض معه الجياد الغالية المزينة بالذهب وحمل معه الجواري الجميلات الغارقات بأنواع الزينة والمجوهرات وكذلك سائر أنواع الأموال والثروة وزخارف الدنيا وبريقها الخداع حتّى أن طائفة من المؤمنين نصحوه بترك هذه السلوكيات الذميمة، إلا أنّه بدلاً من أن يستمع إليهم ويسلك مع الفقراء والمعدمين مسلك اللطف والكرم والمواساة فإنه انطلق من موقع العناد 1. سورة القصص، الآية 76. 2. سورة القصص، الآية 76 - 77. 3. سورة القصص، الآية 79.